الباب الرابع

المصادمات الأولى مع الفرنسيين والجبل

بعد الثورة العربية الكبرى

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

المصادمات الأولى مع الفرنسيين

أ ـ الحكومة الفيصلية بدمشق

بعد دخول الأمير فيصل إلى دمشق قامت الاحتفالات وعقدت المهرجانات والأعراس ابتهاجاً برفع العلم العربي بسماء دمشق وتحرير البلاد بعد قرون من الظلم والاستبداد وحكم الأجانب. فأخذت الأحزاب السياسية والجمعيات الوطنية تنشط بالنوادي والمحاضرات والصحف داعيةً للوحدة الوطنية والحياة الاستقلالية الجديدة التي بدت كأنها تسير في مجراها الطبيعي..!

من جهةٍ ثانية بدأ موقف فرنسا وانكلترا من القضية العربية يتكشف على حقيقته وبدأت تظهر على الساحة أسرار معاهدة سايكس بيكو، ويتوضح معها الخطر المحدق بالبلاد من جراء تقسيمها لمناطق نفوذ بين فرنسا وانكلترا.

في ٨آذار ١٩٢٠ أعلن المؤتمر السوري استقلال سوريا بحدودها الطبيعية من طوروس إلى رفح تحت تاج الملك فيصل بن الحسين حسماً للاتفاقات السرية والتآمر بين الحلفاء على تجزئة سوريا واقتسامها بين فرنسا وبريطانية وجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود، وأبلغ المؤتمر قراره لجميع دول العالم لكن اعتراف الدول بهذا الاستقلال كان محدوداً، قد فرض المنتصرون بالحرب على سوريا والعراق انتداباً جاءت به المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الأمم وقرارات مؤتمر الصلح المنعقد في شهر نيسان في باريز ١٩١٩.

وكانت هذه المادة والميثاق وسيلة لتنفيذ أحكام معاهدة سايكس بيكو السرية ووعد بلفور وخداع الشعوب المستضعفة باسم جديد للاستعمار وهو الانتداب.

يقول الدكتور الشهبندر: "المقالات ص٢٣٠".

في ٢٠ أيار سنة ١٩٢٠ تشكلت حكومة فيصلية على الشكل الآتي:

هاشم بيك الأتاسي رئيساً. علاء بيك الدروبي للشورى. رضا بك الصلح للداخلية. يوسف بيك العظمة للحربية. فارس بيك الخوري للمالية. ساطع بيك

الحصري للمعارف. يوسف بيك الحكيم للتجارة والزراعة والأشغال العمومية. جلال بيك زهدي للعدلية. الدكتور الشهبندر للخارجية:

واستبشر المواطنون خيراً وطفحت الأفئدة بالأمل خاصةً عندما تسلمت القيادة في البلاد شخصيات وطنية مشهودٌ لها بالإخلاص والجرأة والصلابة بموجهة التحديات الفرنسية مثل هاشم الأتاسي وفارس الخوري وعبد الرحمن الشهبندر وغيرهم.

استمرت الحكومة الفيصلية حوالي السنتين بدمشق قضتها بالمحاورات والمباحثات المعقدة مع السلطة الفرنسية التي بدأت من بيروت بإصدار الأوامر والإنذارات لتسهيل بسط النفوذ الفرنسي على المنطقة حسب قرارات معاهدة سايكس بيكو السرية.

ب ـ كارثة ميسلون وانسحاب فيصل

في أواخر تموز ١٩٢٠ أصدر الجنرال غورو إنذاره إلى الحكومة العربية بدمشق وتبع الإنذار عدوان قوض استقلال سوريا وفرض عليها الاحتلال الفرنسي بعد استشهاد وزير الحربية يوسف ا لعظمة في معركة ميسلون مع عدد من المجاهدين الذين ضمخوا تراب الوطن بدمائهم الطاهرة، وقد أدى ذلك لانهيار الجبهة الوطنية وبلبلة الأوضاع في الداخل. وقد كانت حملة سلطان الأطرش لدعم الجيش الوطني في الداخل قد وصلت إلى قرية السجن غرب المزرعة عندما وصلتها أنباء دخول الجيش الفرنسي إلى دمشق وانسحاب الملك فيصل وحاشيته تجاه "درعا"، فأرسل سلطان وفداً من حمد البربور وصياح الأطرش وعبد الله العبد الله للاتصال بالملك فيصل ودعوته إلى الجبل لدراسة الموقف معه ومتابعة الكفاح ضد الفرنسيين من الجبل "مذكرات الحلقة ٤".

وقد حاول الوفد اللحاق به حتى فلسطين فلم يتمكن من مقابلته. حيث كان قد سافر إلى أوروبا، وعاد الوفد دون أن ينجح بمهمته.

وبعد اجتياح الجيش الفرنسي للبلاد في أواخر تموز سنة ١٩٢٠ فرض الانتداب عليها، ثم قام بتجزئتها إلى دويلات أسماها فلسطين ـ شرقي الأردن ـ تحت الانتداب البريطاني. ودولة لبنان الكبير ودولة دمشق ودولة حلب ودولة العلويين ودولة جبل الدروز وحكومة لواء الاسكندرون المستقل تحت الانتداب الفرنسي.

جـ ـ الثورات الأولى ضد الاحتلال

بدأت مقاومة الشعب العربي في سوريا للاحتلال والاستعمار الفرنسي منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين أراضيها. فنشبت ثورة في شمال سوريا يوم كانت فرنسا تحتل منطقة الساحل وحدها. وقد شملت هذه الثورة منطقة أنطاكية والأقضية التي تحاذي المنطقة المحتلة في الشمال كجبال الزاوية والجبل الوسطاني في قضائي حارم وإدلب وقضاء الحفة وجسر الشاغور.

❁ ثورة الشيخ صالح العلي

وقد عمّت قرى العلويين في جبال اللاذقية. وتوصلت في كثير من الأحيان إلى المدن الساحلية. ومن المعارك الهامة التي دارت هنا بين الثوار والجيش الفرنسي: معركة الشيخ بدر تكبد فيها العدو العشرات من القتلى والجرحى، ومعركة وادي ورور، ومعركة قرية بودي التي استمرت عدة أيام خسر فيها العدو الكثير من القتلى والعتاد والذخيرة مع استشهاد عدد من الثوار. إلى جانب هذه الثورات كانت ثورة في جبال بعلبك ثم ثورة رابعة في جنوب لبنان مسرحها وادي التيم ويمتد حتى حدود فلسطين بزعامة الأمير محمود الفاعور شيخ عشيرة الفضل في الجولان جنوب غرب دمشق.

❁ ثورة الزعيم إبراهيم هنانو

وهو من بلدة كفر تخاريم في حلب جبل الزاوية، انتخب عضوا في المؤتمر السوري سنة ١٩١٩ أعلن الثورة على الفرنسيين الذين احتلوا المنطقة الغربية من سوريا، تركزت أعماله الحربية في جبل الزاوية وما حوله وقد ألحق بالفرنسيين هزائم متعددة. أنفق الكثير من أمواله على شراء السلاح والذخيرة، آزره من حلب فاتح المرعُي، طاهر الرفاعي وسعد الله الجابري وغيرهم. بعد معركة ميسلون والتفاهم التركي الفرنسي اضطر هنانو للرحيل إلى الأردن عن طريق جبل العرب "سلطان باشا الأطرش وعلي عبيد". وقد قبض عليه الانكليز وسلموه للفرنسيين الذين حاكموه وكانت محاكمته تاريخية انتهت بإعلان براءته وإطلاق سراحه سنة ١٩٢٨. وكانت الحكومة العربية بدمشق تغذي هذه الثورات المسلحة وتمدها

بالأسلحة والعتاد والمال وأحياناً بضباط يعملون معها بأسماء مستعارة هدفها إظهار مقاومة الشعب العربي في سوريا لمحاولة استعمار بلاده وتقسيمها غنائم حرب وإرهاب المستعمرين أنفسهم بتكبيدهم الخسائر الفادحة.

❁ ثورة الفرات ودير الزور

يضاف إلى ذلك الثورة التي نشبت في الفرات الأعلى ومنطقة دير الزور، لعب فيها رمضان شلاش من شيوخ عشائر الفرات دوراً كبيراً. أرغمت الانكليز على الجلاء عن لواء دير الزور وضمه إلى سوريا. وقد عمت وادي الفرات كله حتى جنوب العراق.

❁ الدماء تسيل في حوران

غادر الملك فيصل وبعض الأحرار السوريين دمشق إلى فلسطين وشرقي الأردن بطريق حوران مما أثار نفوس الحورانيين فقاموا بمظاهرات مسلحة ضد الاستعمار الفرنسي لم تهدئ من شدتها المنشورات التي ألقتها الطائرات الفرنسية على حوران وما فيها من إنذار وتهديد. مما اضطر الفرنسيين إلى إرسال بعض أعضاء الحكومة التي ألفوها بدمشق بالقطار لتهدئة الوضع. وعند وصول القطار إلى محطة خربة غزالة هاجمته الجموع المحتشدة بالرصاص فقتلت علاء الدين الدروبي رئيس الوزراء والوزير عبد الرحمن اليوسف ونجا الوزير عطا الأيوبي من القتل عندما أنقذه أحد أصدقائه من حوران. وجرّ المتظاهرون جثة الوزيرين في أرض المحطة. فاندثرت الوزارة التي ألفها الفرنسيون بعد دخولهم إلى دمشق وتمرغت سمعة فرنسا بالوحل. فأرسلت جيشاً كبيراً اشتبك معه الحورانيون في عدة معارك دامية كبيرة كبدوه فيها خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، خاصة في المعركة الكبيرة التي وقعت قرب نبع الكتيبة. حتى تغلب عليهم الجيش أخيراً بالكثرة والأسلحة الحديثة الفتاكة فخضعوا مكرهين يترقبون الفرصة السانحة للانقضاض والثأر.

وهكذا لم ينس الشعب العربي في سوريا قضيته على الرغم من خمود الثورات أمام القوة الكبيرة والأسلحة الحديثة. واستمرت مقاومة الاحتلال تظهر في ثورات وانتفاضات محلية ما تكاد تخمد واحدة حتى تشتعل أخرى. ففي الكتاب الذهبي

لجيوش الشرق الفرنسي اعتراف صريح بنشوب العديد من الثورات المسلحة في سويا من سنة ١٩١٨ حتى سنة ١٩٣٦ مع ذكر الكثير من الخسائر. وفي الكتاب إشارة إلى ثورة عشيرة الموالي في أطراف حماه وحتى معرة النعمان، وإشارة لثورة بدوية أخرى في الفرات ومعارك كبيرة سجل فيها الجيش الفرنسي الكثير من الخسائر. وقد ورد بمذكرات الجنرال ويغان أن الثورات السورية المسلحة في عهده زادت على ثلاثمائة ثورة بين كبيرة وصغيرة وتمرد وعصيان.

د ـ زعزعة غورو في الجولان

أما الجنرال غورو[1] الذي احتلت قواته سوريا الداخلية وقوض معالم استقلالها وسرح جيشها فكان اول عمل له قام به أن سار بموكبه إلى قبر البطل صلاح الدين الأيوبي بجوار الجامع الأموي بدمشق وطرق بسيفه على صفائح القبر وقال:

"ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين" إشارة إلى الجيوش الصليبية التي هزمها السلطان صلاح الدين، وقد هز أعماقه المجاهد أحمد مريود بالحادث التالي:

ـ كان الثائر أحمد مريود من جباتا الخشب قضاء قطنا قد لجأ مع أحرار سويا إلى شرقي الأردن في أعقاب الاحتلال الفرنسي ودخول قوات الجنرال غورو المتهور المغرور دمشق. وقد أقام في قرية كفرسوم قضاء إربد القريبة من الحدود السورية.

جاءه رسول في حزيران سنة ١٩٢١ يخبره أن محمود باشا الفعور رئيس عشيرة الفضل سيقيم مأدبة غداء للجنرال غورو في قرية واسط من أعمال قضاء القنيطرة، عندما كان الجنرال برحلة تفتيشية بمنطقة القنيطرة.

وفي صباح ٢٣ حزيران سنة ١٩٢١ كمن رجال أحمد مريود بلباس الدرك في منعطف على طريق القنيطرة ـ دمشق قرب خان أرينبة ـ وعند وصول موكب الجنرال سار ببطء على المنعطف أمام دورية الدرك الخمسة الذين أمطروه بوابل رصاصهم فجرح وانبطح بأرض السيارة وقتل الضابط المرافق وأخذ الثوار قبعته ظناً أنها للجنرال. وانطلق السائق بقوة سريعة ليجتاز الحاجز يهرب منقذا الجنرال من الموت،

---

[1] كان الجنرال غورو أعور. أكتع ـ أفصع.

وقد جرح حقي العظم رئيس دولة دمشق الذي كان جالساً إلى يسار الجنرال بكتفه وفخذه وشفته. واخترقت الرصاصات قوائم الجنرال ونزعت شاراته عن كتفيه لكن ذراع الجنرال وساقه كانتا مبتورتين بحرب الدردنيل إلى جانب فقد إحدى عينيه. فذراعه كانت صناعية كساقه وعينيه لا يؤذيها الرصاص إذا اخترقها. وفر الثوار هاربين دون أن يصابوا بأذى، فاهتزت أركان السلطة الفرنسية حتى باريز بعد هذا الحادث وراحوا كالمجانين يدمرون القرى التي مرت بها العصابة ويملأون السجون بالأبرياء والنساء والأطفال وينكلون بأهلها أبشع تنكيل [1].

---

[1] منير الريس ص١٤٠.

obeikandl.com

الفصل الثاني

الجبل بعد الثورة العربية الكبرى

من سنة ١٩١٩ ـ ١٩٣٣

أ ـ نشاط السلطة الفرنسية في الجبل

عندما كان الفرنسيون في بيروت يخططون لاحتلال سوريا الداخلية أرسلوا جواسيسهم وعملاءهم لجميع المناطق السورية خاصة الجبل والمحافظات التي تسود فيها العشائر والعشائرية يدعون سراً إلى بيروت المتنفذين في قومهم من زعماء وشيوخ عشائر لمساعدتهم على تنفيذ صك الانتداب الذي أقرته عصبة الأمم مقابل الهدايا والآتاوات والأصفر الرنان الذي راحوا يغدقونه على العملاء بدون حساب، ومن بينهم الكثير من وجهاء الجبل. لذلك زادت المشاورات والمناقشات بين كافة الأقطاب والزعماء في الجبل لتقرير مصير جبلهم في خضم هذه المستجدات على الساحة السياسية فاتفقت أكثر الآراء تقريباً على عقد اتفاقية مع فرنسا تضمن للجبل الحرية في ظل الانتداب إلى جانب حق الجميع في ممارسة عاداتهم وتقاليدهم وطقوسهم الدينية مع بقاء أسلحتهم في أيديهم للدفاع ضد عدوان البدو والعشائر المجاورة في البادية ووعرة اللجاة. وأن يكون حاكم الجبل من أبنائه ينتخبونه حسب عاداتهم وتقاليدهم.

وافقت فرنسا على هذه المطالب، ووقع المفوض السامي مع عدد من زعماء الجبل اتفاقية اعترف فيها باستقلال الجبل في ظل حاكم من أبنائه. وأن تراعي فرنسا التقاليد والعادات المختلفة لسكان الجبل.

ثم كانت تصرفات الفرنسيين السيئة ومحاولة فرض سيطرتهم المباشرة بأي شكل ونشطت دعايتهم وتعميماتهم منها :

توثيق:

في ١٩٢٠/١١/٣ عمم القومندان كاترو رئيس البعثة الفرنسية بدمشق على زعماء الجبل وشيوخه الرسالة التالية:

"حين عهدت إلي رئاسة البعثة الأفرنسية بالشام أوعز إلي فخامة المندوب السامي الصديق المخلص للجبل بأن أسعى بقدر جهدي للاهتمام بكل ما يؤول لخير بلادكم وشعبكم . وأبلغني بتأكيد وعده السابق لكم بمنح سكان الجبل الاستقلال الإداري الواسع وجعل جبل الدروز حكومة مستقلة تدير ذاتها بذاتها تحت الانتداب الفرنسي واستعداد الحكومة الفرنسية لتقديم المستشارين والاختصاصين لنهضة الزراعة واستنتاج ثمرة البلاد المدفونة بالوسائل الفنية، وتوطيد الأمن بواسطة حكومة البلاد المحلية، وفتح الطرقات وتسهيل المواصلات وإحياء التجارة التي هي حياة البلاد، ومد الخطوط الحديدية وتقديم ما يلزم من المساعدة المالية اللازمة بواسطة الشركات الأفرنسية الفنية.

وإن الشعب الفرنسي هو من أشد الشعوب في المحافظة على التقاليد الشعبية واحترام الأديان والمذاهب وعادات البلاد، ودليلي على ذلك هو أن جعلنا لكم اختيار مصيركم وإبداء مطالبكم بكل حرية تامة حسب موافقة الرأي العام علانية على رؤوس الأشهاد، وأني أتأمل بفضل الزعماء والرؤساء أو المشايخ أن تنبذوا من بينكم كل من يرغب التفريق والشقاق.

ب ـ مقررات اجتماع السويداء سنة ١٩٢٠

واضح أن السلطة الفرنسية بهذه الرسالة تحاول أن توهم المؤيدين بسياسة جديدة تنوي اتباعها، كما أنها تدعو لنبذ المعارضين ومحاربتهم (مذكرات).

بناء على ذلك كثرت اللقاءات والاجتماعات في قرى الجبل حتى كان آخرها في مدينة السويداء بتاريخ ١٩٢٠/١٢/٢٠ تقرر فيه المطالبة رسمياً باستقلال الجبل في ظل الانتداب الفرنسي، فتشكل وفد برئاسة الشيخ محمود أبو فخر مهمته الاتصال بالبعثة الفرنسية بدمشق والتفاوض معها بشأن صورة برنامج الاستقلال الذي اتفق عليه في الاجتماع الأخير في السويداء.

وهذه أهم بنوده: كما ذكرها حنّا أبو راشد "جبل الدروز ١٦٥"

١ـ حكومة جبل الدروز هي حكومة شورية مستقلة استقلالاً داخلياً تاماً.

٢ـ تقبل حكومة جبل الدروز الانتداب الفرنساوي بشكل لا يمس استقلالها.

٣ـ تسمى هذه الحكومة مشيخة جبل حوران ويدخل ضمنها كامل وعرة اللجاة والصفاه وتمتد حتى حدود الدير علي من الجهة الشمالية وحدود الأزرق من الجهة الجنوبية.

٤ـ يرأس هذه الحكومة حاكم أهلي ينتخبه الأهالي وفقاً لقانون مخصوص مرة كل ثلاث سنوات ويكون لها مجلس استشاري كبير يُنتخب أعضاؤه وفقاً لقانون مخصوص مرة كل ثلاث سنوات.

٥ـ يقوم هذا المجلس مقام المجلس الملي ولا يقل عدد أعضائه عن الثلاثين عضواً.

٦ـ تعين وتحدد صلاحية ووظيفة كل من الرئيس والمجلس بقانون خاص يوافق عليه عموم أهل البلاد بجمعية عامة.

٧ـ تستمد حكومة الجبل ما تحتاج إليه من المساعدة الفنية والاقتصادية من الحكومة المنتدبة.

٨ـ لا يحق للحكومة المنتدبة المداخلة بأمور الجبل الداخلية ولا تجنيد أهالي حوران ولا نزع سلاحهم.

٩ـ مشايخ العقل منصبون لمدى الحياة ولا يعزلون ولا يحق للحكومتين الوطنية أو المنتدبة المداخلة بوظائفهم الدينية بالإضافة لبعض مواد تحدد الواردات والنفقات وبعض الصلاحيات.

وبعد أن تعرضت صورة هذا البرنامج لكثير من التعديل والتبديل بدمشق صدرت بصياغة جديدة عرفت بالنظام الأساسي لاستقلال الجبل أو اتفاقية "أبو فخر دي كاي" وقد وقعها أيضاً خمسة عشر وجيهاً من وجهاء الجبل بدمشق. وقد وردت بالحرف بكتاب البعيني ص ٤١٩ ـ وحنّا أبي راشد ص ١٦٨.

جـ ـ النظام الأساسي لاستقلال جبل الدروز سنة ١٩٢١

نسخة طبق الأصل للنظام الأساسي الذي تم الاتفاق عليه في ٤ مارس سنة ١٩٢١ بين زعماء جبل الدروز والمسيو "روبيردي كاي" بالوكالة عن الجنرال غورو المندوب السامي الفرنساوي.

صورة فوتوغرافية للنص الأصلي الموضوع بالعربية قبل أن يسلم الأصل إلى الجنرال ساراي في دمشق حيث قال: "هذه الاتفاقية هي حبر على ورق" في ٧ إبريل سنة ١٩٢٥.

❁ بند ١ـ تتشكل في جبل دروز حوران حكومة وطنية مستقلة، استقلالاً إدارياً واسعاً، تحت الانتداب الفرنسي، إنما حدود هذه الحكومة الجديدة تعينها لجنة، ثم تقررها الدولة المنتدبة.

❁ بند ٢ـ تكون هذه الحكومة وطنية ويعين موظفوها من أبناء البلاد، ويكون طراز إدارتها منطبقاً على العوائد المحلية، وتقدم الحكومة المنتدبة مستشارين إفرنسيين، يقيمون لدى الحكومة الوطنية، لأجل تدريبها بالأمور القانونية والإدارية، ويكون مرجعهم رئيس البعثة الفرنسية في الشام. أما اسم هذه الحكومة فيحتفظ به الآن بينما يتم الاتفاق عليه مع المندوب السامي.

❁ بند ٣ـ يرأس هذه الحكومة حاكم أهلي يصير انتخابه بواسطة ممثلي الشعب القانونيين لمدة أربع سنوات بموجب قانون خاص يسن فيما بعد. ولا يصبح انتخابه نهائياً إلا بعد مصادقة الدولة المنتدبة عليه.

❁ بند ٤ـ يساعد الحاكم بمهماته مجلسان. يدعى الأول مجلس الحكومة والثاني اللجنة الإدارية، ينتخب مجلس الحكومة لمدة ثلاث سنوات ممثلو الأمة الشرعيون وفقاً لقانون خاص فيما بعد ويلتئم هذا المجلس مرة في السنة، لأجل تدقيق ميزانية الحكومة والموافقة على حسابات السنة الماضية، ويقدم اقتراحات فيما يتعلق بالمصالح العامة.

❁ بند ٥ـ سينظم قانون خاص يعين وظائف الحاكم وصلاحية مجلس الحكومة واللجنة الإدارية.

❁ بند ٦ـ الحكومة المنتدبة وحدها دون سواها تقدم لحكومة جبل الدروز المساعدات الفنية والإدارية.

❁ بند ٧ـ تتعهد الحكومة المنتدبة باستثناء سكان جبل الدروز من الخدمة العسكرية الإجبارية.... أما قوات الدرك والشرطة اللازمة لحفظ النظام العمومي فيصير تشكيلها بطريقة التطوع..... ويسمح لسكان الجبل بإبقاء الأسلحة بين أيديهم داخل حدود الحكومة الدرزية.

❁ بند ٨ـ الحكومة المنتدبة هي المولجة لوحدها بمصالح الحكومة الدرزية وتمثيلها في الخارج.

❁ بند ٩ـ تتعهد الحكومة المنتدبة بعدم إجبار حكومة جبل الدروز بالوحدة المحتمل حصولها بين البلاد السورية إلا فيما يختص بالمسائل الاقتصادية.

❁ بند ١٠ـ مصادر الإيرادات: الضرائب والرسوم المختلفة التي يفرضها مجلس الحكومة ولا يصير دفع أعشار.

❁ بند ١١ـ لا تصبح ميزانية حكومة جبل الدروز نافذة إلا بعد مصادقة المندوب السامي عليها.

❁ بند ١٢ـ لا تقام حواجز جمركية بين حكومة الجبل وحكومة منطقة دمشق.

❁ بند ١٣ـ يمكن لمجلس الحكومة أن ينظر بصلاحية الحاكم ووظائفه وتتخذ الدولة المنتدبة قراراً بهذا الشأن.

❁ بند ١٤ـ إن الحكومة المنتدبة ومجلس حكومة الجبل واللجنة الإدارية لا تتدخل على الإطلاق بالأمور الدينية.

❁ بند ١٥ـ تتعهد الدولة المنتدبة وحكومة الجبل المحلية بحفظ حقوق الأقليات داخل حكومة الجبل هذه، فضل الله هنيدي"ختم" ، نسيب الأطرش"ختم" ، سليم الأطرش "ختم"، توفيق أبو عساف "ختم" ، عقلة القطامي "ختم"، قفطان عزام "ختم"، فخر الدين الشعراني "ختم"، مسعود غانم "ختم"، جبر شلغين "ختم"، نايف

أبو فخر "ختم". روبير ديكية "ختم المفوضية"، محمود أبو فخر بالأصالة والنيابة عن المشايخ الرُّوحانيين "ختم محمود أبو فخر".

شوهد من قبل روبرت ديكيه ٤ آذار سنة ١٩٢١.

APProuve .P.I.Robert Decaix ٤ / Mars /١٩٢١

د- حكومة جبل الدروز[1]

ابتدأ الحكم النظامي في الجبل يوم أعلنت دولة الانتداب استقلاله الإداري في ٥ نيسان سنة ١٩٢١.

وفي العشرين منه تم الاتفاق على الأمير سليم لتشكيل الحكومة وانتخب توفيق الأطرش قائداً للدرك ووديع تلحوق مديراً للمخابرات، و٢٥٠ نفراً من الدرك و٥٠ رجلاً برئاسة حسني صخر ومحمد كيوان، ثم قبل نهاية عام ١٩٢١ تمت تسمية ١٣ضابطاً و١٣ مديراً للنواحي.

وتألفت حكومة الجبل من المديريات التالية:

الملكية:

مؤلفة من مديرية الداخلية وقائم مقامتين ومديريات نواحي مديرها توفيق بيك الأطرش والقائم مقامان: طلال باشا عامر شهبا وفهد بيك الأطرش صلخد.

العدلية:

مديرها محمد بيك الحلبي. ومحكمة استئناف رئيسها منصور بيك عبد الصمد. وثلاث محاكم صلحية: علي بيك عبيد في السويداء، وصياح بيك الأطرش في صلخد، وحسين بيك الحلبي في شهبا.

المعارف:

مديرها السيد النجار يتبعها عشرون مدرسة منها مدرسة عليا في سنتها الأولى.

---

[1] ورد هذا التوزيع في كتاب البعيني ص٤٢١ وأيدته المذكرات ح ٤.

المالية:

مديرها السيد صادق الترزي.

الدرك:

قائده السيد حسني صخر ورؤساء سرايا نايف وإبراهيم الأطرش وفوزي الحلبي.

النفوس:

مديرها جاد الله بيك الأطرش.

المخابرات:

مدير قلمها السيد نجم الفقيه.

المعتمدية:

للجبل معتمد بدمشق هو نسيب بيك الأطرش.

الشرعية:

قاضي المذهب الذي يتقاضى من الحكومة راتبه هو الشيخ محمود أبو فخر.

obeikandl.com

نواحي حكومة جبل الدروز ومديروها وضباطها[1]

اسم الناحية	مديرها	ضابطها
عرى	هلال درويش	نصر الدين صلاح
القريا	صياح الحمود الأطرش	فرحان العبد الله
صلخد	جاد الله الأطرش	حمد الأطرش
ملح	فضل الله النجم الأطرش	هلال أبو مغضب
سالة	سليمان نصار	عبد الكريم سلام
المجدل	سلمان هنيدي	مصطفى الشعراني
نجران	خليل أبو فخر	إبراهيم نصر
عاهرة	حمد عزام	نسيب القنطار
وادي اللوى	شبلي عز الدين	سليم الحلبي
الهيت	جميل عامر	مهاوش عامر
شهبا	سلمان عامر	جبر شلغين
نمرة	سلمان القلعاني	حمود الصحناوي

[1] ورد هذا التوزيع في كتاب البعيني ص٤٢١ وأيدته المذكرات ح ٤.

obeikandl.com

الفصل الثالث

ثورة سلطان الأولى سنة ١٩٣٣

أ ـ أدهم خنجر والاصطدام الأول في الأصلحة

بالرغم من سيطرة السلطة الفرنسية على حكومة الجبل المحلية بضباطها ومخابراتها الذين عينتهم ـ في السويداء ـ "ترانكا ـ كارابيه" موريل ـ في صلخد "ماكينيه" ـ وفي شهبا "فيرنييه" ـ بقيت تتعمد إثارة المشاكل ووضع العراقيل في وجه هذه الحكومة المحلية لإظهار عجزها وإلغاء دورها لتصل لإقامة حكم فرنسي مباشر وبسط نفوذها الشامل على الجبل مما أثار غضب الأهالي فتشكلت معارضة قوية حتى من بعض عناصر الحكومة تعمل على مقاومة هذه السلطة بعد أن أخذت تتدخل بكل كبيرة وصغيرة[1].

بينما كان سلطان الأطرش يقوم بجولة على قرى المقرن الجنوبي أخبره شكيب وهاب في أم الرمان أن أدهم خنجر جاء إلى بيته في القريّا مستجيراً من مطاردة الفرنسيين .....!!

فخف عائداً من أم الرمان ليجد أن السلطة الفرنسية اعتقلت أدهم خنجر وهو يهمُّ بالنزول أمام البيت وساقته مخفوراً إلى السويداء وكان قد ترك رسالة لسلطان الأطرش يخبره فيها أنه جاء إلى بيته مستجيراً وحياته مهددة بالخطر لذلك يستحثه على إنقاذه قبل فوات الأوان.

أوفد سلطان الأطرش فوراً أخاه علي لمقابلة "ترانكا" كما بعث برسالة إلى سليم الأطرش رئيس الحكومة بدمشق وإلى عمه فارس النائب يخبرهم فيها أن الفرنسيين تجاوزوا حدودهم واستهانوا بعادات الجبل وتقاليده حين ألقوا القبض على

---

[1] هذه المعلومات مأخوذة من مذكرات سلطان الأطرش الحلقة ٢ حيث يذكر أن رئيس الحكومة سليم الأطرش وبعض النواب اتصلوا معه يشكون أعمال السلطة الفرنسية ويطلبون التفاهم لاتخاذ مواقف موحدة منها.

رجل استجار في بيته واحتمى بداره. وطلب التدخل لإقناع السلطة الفرنسية بإخلاء سبيل ضيفه فوراً وإلا تدبر أمر إنقاذه بطرقه الخاصة...!!

كانت إجابة "ترانكا" تتضمن كل معاني الإثارة والتحدي حيث قال للسيد علي:

إن الرجل في القلعة ليأتِ أخوك ويأخذه ....!! أنتم عندكم المحافظة على الضيف وعند الجند المحافظة على الجاني...!!

أجابه النائب فارس الأطرش أن أدهم أمام سلطة القانون ولم يعد لأحد الحماية إلاّ به.

برقية سلطان الأطرش للمفوض السامي في بيروت:

"إن السلطة الفرنسية عندنا لم تراعِ البند القائل أن فرنسا تحافظ على تقاليدنا وعوائدنا، أطلب من عدلكم التدخل لأن "ترانكا" يصر على موقفه الخاطئ. الضيف قاصد ليطلب مني أن أتوسط له وأطلب العفو من فخامتكم[1]".

لم يصل أي جواب لهذه البرقية، يلاحظ أن سلطان الأطرش استنفذ جميع الوسائل السلمية لإنقاذ ضيفه بالطرق الحكيمة والسلطة الفرنسية أخذت تتحدّى.

وبعدها جمع سلطان أهالي القريا وتدارسوا الموضوع من جميع جوانبه فثارت ثائرتهم وهبوا لإنقاذ ضيفهم بحماسة منقطعة النظير.

وقد ورد في مذكرات سلطان الأطرش أن الأمور سارت كما يلي:

- إرسال المفازيع إلى القرى المجاورة والجموع تزحف لتطويق السويداء مع البيارق والأهازيج مع فرسان عشيرة السردية بقيادة خلف الكليب.
- تكليف مصطفى الأطرش وخيالته بمراقبة طريق السويداء الثعلة النافذة على درعا.
- تمركز القيادة في بيت نجم عز الدين في الثعلة.

---

[1] مذكرات حلقة ٢.

- برقية من سلطان الأطرش إلى الأمير سليم للتدخل وإنقاذ الموقف.

- تدخل شيوخ العقل و"المشايخ أحمد الهجري - حسن جربوع - علي الحناوي" والشيخ محمود أبو فخر قاضي المذهب. تدخلوا مع سلطان الأطرش ليكف عن استعمال القوة في قضية أدهم خنجر ويتركها للقضاء . فلم يوافق...!!

معركة الأصلحة في ٢٢٢ تموز سنة ١٩٢٢

بينما كان سلطان الأطرش في بيت ظاهر القنطار بكناكر سُمعت طلقات الرشاشات والبنادق..!! فأسرعوا لمكان الحادث في الأصلحة قرب تل الحديد فإذا المعركة دائرة بين مصطفى الأطرش وخيالته من جهة وثلاث مصفحات قدمت من درعا لنقل الضيف السجين إلى دمشق من جهةً ثانية. فاستولى المجاهدون على مصفحتين وهربت الثالثة باتجاه درعا[1] قُتل ثلاث جنود والضابط بوكسين **Bouxin**، وأسر أربعة جنود. كما أصيب الأمير علي بجرح بليغ عند الإنقضاض مع رفاقه على المصفحات والوثوب عليها من على صهوات جيادهم.

وقد وصف الشاعر رشيد سليم الخوري حادثة الهجوم الصاعق على المصفحات بقصيدة طويلة جاء فيها:

خففتَ لنجدة العاني سريعا ... غضوباً لو رآك الليث ريعا

وحولك من بني معروف جمعٌ ... بهم وبدونهم تفني الجموعا

كأنك قائدٌ منهم هضاباً ... تبعن إلى الوغى جبلاً منيعا

اتخذتهم لدى الجلّى سيوفاً ... لها لعن الفرنسيُّ الدروعا

ألم يلبس عداك التنك درعاً ... فسلهم هل وقى لهم ضلوعا

فلما صرت من مهج الأعادي ... بحيث تذيقها السم النقيعا

---

[1] مذكرات حلقة ٥.

وثبـــت إلى ســـنام التنـــك وثبـــاً عجيبـا علـم النـسر الوقوعـا

فخـــرَّ الجنـــد فـــوق التنـــك صـــرعى وخـــرَّ التنـــك تحـــتهم صـــريعا

فيالـــك غـــارة لـــو لم يـــذعها أعادينـــا لكـــذّبنا المـــذيعا

ويالـــك أطرشـــاً لمـــا دعينـــا لثـــأر كـــان اسمعنـــا جميعـا

فتـــى الهيجـــاء لا تعتـــب علينـــا وأحـسن عـذرنا تحـسن صـنيعا

إذا مـــا شـــئت رفـــع الـــضيم فاضـــرب بـسيف محمـدٍ وأهجـر يـسوعا

وبعد تدمير المصفحتين وصل إلى ميدان المعركة أعضاء المجلس النيابي وسليم ونسيب الأطرش من دمشق وتم الاتفاق بعد نقاش حاد على ما يلي:

١ـ فك الحصار عن السويداء وإبعاد القوات المرابطة حولها.

٢ـ تسليم الأسرى الأربعة.

٣ـ ترك قضية أدهم خنجر ليعالجها الوفد بجو هادئ وودّي.

٤ـ تعهد الوفد بتسليم أدهم خنجر للمجاهدين سالماً في اقرب فرصة ممكنة[1].

جـ ـ سلطان الأطرش في الأردن

دخل الثوار إلى الأردن ونزلوا في خربة رحاب بديار بني حسن فاستقبلتهم العشائر الأردنية بالترحاب خاصة حديثه الخريشا ومثقال الفايز وطراد بن زبن من شيوخ بني صخر الذين كانوا قد ارتبطوا معهم بصداقة حميمة من أيام الثورة العربية ورحبت بهم الحكومة الأردنية.. إلا إن الإنكليز لم يكونوا راضين عن وجودهم في الأردن وقد حاولوا إخراجهم وتسليمهم للفرنسيين لولا تدخل الأمير عادل أرسلان ورشيد طليع وشيوخ العشائر[2].

---

[1] مذكرات حلقة ٥.

[2] مذكرات حلقة ٥.

توصيف معركة برد ـ ومعركة سمج

د ـ معركة برد

علم الثوار بأن السلطة الفرنسية ترسل قواتها إلى القريا وبرد وأم الرمان لمصادرة محاصيلهم ونهب مواشيهم. فقرروا القيام بجولة استطلاع للتحقق بأنفسهم:

يذكر سلطان الأطرش في مذكراته أن مرافقيه في هذه الجولة هم "حمد البربور ـ خلف الكليب السردي ـ فارس مفرج ـ مصطفى الخليلي من درعا ـ محمد البربور وولده جاد الله ـ نصار ورشيد البربور ـ وغيرهم"[1].

ويضيف وصلنا برد صباح ٧ آب سنة ١٩٢٢ ، أخفينا الخيل في الدار وكمنا قرب البيدر. حلّقت فوقنا الطائرات الفرنسية لكنها لم تكتشفنا، أوعزت الطائرات للقوات بالتقدم من بصرى نحو برد.." كوكبة من الفرسان وعدة شاحنات ناقلة للجنود". وعندما اقتربت من برد أمطرناها بوابل من رصاص بنادقنا فتراجعت تاركة وراءها عدداً من القتلى والجرحى ـ وفقدنا فرسين وأصيب أخي علي بجرح بليغ..!!

هـ معركة سمج

حاول الفرنسيون القبض على الثوار بمؤامرة فدعوهم للتفاهم في سمج. لكن الثوار قبل دخول سمج كمنوا بمضارب المساعيد عند عواد السرور "الشيخ" وناموا حتى يجدوا في صباح اليوم التالي قرية سمج مطوقة بالجند وهكذا أفلتوا من المؤامرة. وتقدموا ليكمنوا في دير الخريبة على الطريق بين سمج وبصرى، وبعد قليل كانت القوة الفرنسية تعود من سمج تسوق مواشيهم وأبقارهم التي صادرتها من سمج. وعندما أصبحوا في متناول اليد أمطرهم الثوار بوابل غزير من الرصاص وشردت جميع الأبقار والمواشي. لكن فريقاً من الجند تمركز على رشاش كبير "هوشكيس" يصلي الثوار ناراً حامية فشد أزر الجنود وعادوا يقاتلون بضراوة، عندئذٍ تناخى الثوار[2] وهجموا منقضين على الجنود مع صيحاتهم المرعبة بالسلاح الأبيض فشتتوهم واستولوا على الرشاش والأبقار والمواشي واثني عشر بغلاً محملة

---

[1] مذكرات حلقة ٥

[2] تناخى الثوار: أي حمّس بعضهم بعضا.

بالسلاح والذخيرة وفر الجنود تاركين عدداً من القتلى والجرحى بأرض المعركة. وعاد الثوار إلى سمج ليسوقوا كافة مواشيهم إلى الأردن.

أما محمد البربور فيصف المعركة بقوله:

في غفلتنا ركب سلطان فرسه الصفراء وهجم على الجنود شاهراً سيفه فردهم عن البقر وساقه نحونا دون أن يصاب بأذى وقد كان انتصارنا عليهم فريداً من نوعه.

تسعة رجال يفتكون بقوة يزيد عددها على مائة جندي ويشتتونها تاركة قتلاها وجرحاها في الميدان وتتخلى عما سلبته من الأبقار والمواشي والبغال دون أن يصاب أحدٌ منا بأذى.

أما حسني صخر الذي حدث فيما بعد عن المعركة فقال:

لقد وصلت إلى مكان الحادث وعرفت أن الحملة الفرنسية كانت تعتقد أن المجاهدين في سمج وكان عدد قتلاها تسعة جنود وأكثر من عشرين جريحاً وقد فقدت الحملة أربعة عشرة بغلاً محملة بالأسلحة والذخيرة والتموين.

عاد ا لثوار بعد ذلك فرحين بنشوة النصر يردد بعضهم أغاني الهجيني والبعض الآخر حداء الفرسان" غناني الخيل" حتى وصلوا في الهزيع الثاني من الليل إلى منازلهم في رحاب[1]. كما كانوا يرددون الأغاني التي انتشرت في الجبل بعد مغادرتهم إلى الأردن:

سلطان وربعوا نصون بلاد الأجناب	من بعدهم خريت قصور العماير
يا مصطفى يشبهِ لفرخ العقاب	يلكد عالمدرعة والمدفع ثاير
يا باشا ويا للي لدم العدا شراب	يا مشبع الطير من لحم العساكر

---

[1] مذكرات حلقة ٥.

يعلق سلطان الأطرش بمذكراته على نتائج هذه المعركة بما يلي:

لم تلبث أخبار اصطدامنا مع الفرنسيين أن انتشرت بين عشائر الأردن. فجاءت وفود عديدة لتهنئتنا والسلام علينا غير أن بعضهم لم يخفِ عنا قلقه من مؤامرة "إنكليزية ـ فرنسية" قد تدبر ضدنا للتخلص منا وإخماد ثورتنا. ولما تداولنا بهذا الموضوع مع الأمير عادل أرسلان ورشيد طليع وحديثه الخريشا وغيرهم من أحرار العرب في الأردن فأشاروا علينا بالتزام الهدوء وعدم القيام بغارات أخرى على الفرنسيين في الجبل لا لأنهم على وفاق مع الإنكليز في كل ما يتعلق بنظام الانتداب وبشؤون الأمن على الحدود الخاصة. حتى أنني سمعت من عطيوي المجالي ومثقال الفايز وحديثه الخريشا أن الأمير عبد الله كان يتصل بهم وبغيرهم من شيوخ القبائل ويحثهم على طلب الاستقلال الناجز ويقول لهم بحرارة:

"إنني لا أستطيع مقاومة الإنكليز إلا بكم، وقد نكثوا كما تعلمون، بالعهود التي قطعوها لوالدي، وإنني أخشى على نفسي من غدرهم....."

وإن أقواله هذه كانت تصل إلى الإنكليز فيتشددون بمراقبته ويتدخلون بشؤون الحكم بإماراته، ويعملون على إبعاد المخلصين عنه والتضييق على أحرار العرب الذين لجأوا إلى بلاده[1].

و ـ المصالحة والعودة من الأردن ٥/نيسان/١٩٢٩

دُهشت السلطان الفرنسية العليا في دمشق وبيروت من هذه الغارة الأخيرة وارتعدت فرائص الجميع، فحركوا مساعي الصلح من جديد حيث قام عدد من أعيان الجبل وشيوخه بمساعٍ صلحية أدّت لعودة سلطان ورفاقه إلى الجبل يوم عيد الاستقلال في الخامس من نيسان سنة ١٩٢٣ حيث دخلوا إلى ساحة الاحتفال بالسويداء وفيها الضباط الكبار "ترانكا وشوفلر" مع الأهازيج الشعبية وزغردة النساء والشباب، رافعين رؤوسهم فخورين بنضالهم في سبيل الحرية والاستقلال، مما أزعج الفرنسيين، وجاء دليلاً على أن هؤلاء الثوار قد أصبحوا أبطال التحرير

---

[1] نفس المصدر السابق حلقة ٥.

بنظر أبناء الجبل والعشائر البدوية والعربية. كما تعالت أصوات التحدي للسلطة الفرنسية من حناجر الجماهير التي كانت تردد مثل هذه الأغنية:

زلّـــوا عـــن الـــدرب زلّـــوا لتمـــرق خيـــل التحريـــر

مـــا منتنـــازل عـــن وطنـــا واللـــي بـــدو يـــصير يـــصير

"وقد زار سلطان الأطرش بعد ذلك في القريا حقي العظم حاكم دمشق والجنرال كاترو الذي عرض عليه ألف ليرة ذهبية تعويضاً عن داره المهدّمة، فأبى استلام المبلغ بعزة وأنفة قائلاً: إن داراً تعجز عن حماية ضيوفها ليست جديرة بأن تظل قائمة[1]".

كذلك الكابتن كاربييه في كتابه "وقائع شاهدتها وعشتها" المطبوع سنة ١٩٢٦ يذكر ما يلي:

لقد جئت إلى الحكم في الجبل "نائب الحاكم" سنة ١٩٢٣. فوجدت من واجبي أن أقوي الصلات مع الجميع خاصة المعارضة وعلى رأسها سلطان الأطرش الذي كان قد قتل لنا الضابط بوكسين وبعض الجنود في حادث الأصلحة، فقمت بزيارة شهبا ثم صلخد والأمير علي في متان حتى وصلت إلى القريا، فقادني زيد وعلي أخوة سلطان إلى بيت الشعر الذي كان يقيم فيه خارج القريا - " في دفن[2] " - وبعد العشاء والاستقرار آخر الليل في جلسة انفراد مع سلطان، قلت له لا يجوز أن تبقى في بيت الشعر هذا لذلك سنعمر لك الدار وندعمك حتى تعود لتعيش فيها بالقريا، فأجابني سلطان قائلاً:

"دار لا تحمي دخيلها ليست جديرة بأن تعمر فلا أريد ذلك....!!"

---

[1] الدكتور البعيني عن روز اليسف العدد ١٨ تاريخ ٣آذار سنة ١٩٢٦.

[2] المؤلف.

وهذه المقاطع من قصيدة طويلة لنجم العباس قالها عندما جاء يسلم على سلطان بعد عودته من الأردن. القصيدة من نوع مخمس مردوف يتجلى فيها فن البديع في الأدب مما لم يأتِ به أفحل الشعراء ونترك للقارئ تفسير المعاني:

أبـــديت بـــنظم القـــوافي المعـــي ببيـــوت تطـــرب كـــل عـــارف المعـــي

مـــا قـــال شـــبلي في بيوتـــو والمعـــي عـــسراً علـــى الـــشعار قـــافي لـــو انقـــرا

مـــن حـــد تـــونس للجزائـــر لانقـــرا مـــن كـــل فـــرد لـــوذعي مـــدّعي

مـــن بعـــد ذا يـــا راكـــب اللـــي عـــالمنى تـــشدي نـــواعير المرســـى عالمينـــا

فوقـــه غـــلام اللـــي يـــورد علمنـــا لـــدار القريـــا ســـريعاً بـــشرا

بقـــدوم هـــاليبغوا المنايـــا بالـــشرا طـــوبى لـــكِ حيثـــك قـــساور تجمعـــي

ســـلطان ركـــن بلادنـــا قبـــل وبعـــد هجـــرو ضـــنا لفؤادنـــا لمـــا بعـــد

مـــن قبـــل دور أجـــدادنا واحكـــوا بعـــد مـــا علّمـــوا حـــراً فقـــع مثلـــه تـــرى

مـــا قـــول أنـــا وحـــدي تـــرى كلـــه تـــرى اسمـــو عجـــسموا خالطولـــا وعـــي

* * * * *